التراث العربي الإسلامي والحداثة من خلال منهجية الإسلاميات التطبيقية قراءة في أطروحات محمد أركون.

محمودي سيف الدين
جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر

ملخص: تنطلق هذه الورقة البحثية من دراسة وتحليل للمعطيات الأساسية لراهن الفكر العربي الإسلامي، انطلاقاً من المشاريع الحداثية المعاصرة والتي تربع على عرشها الفيلسوف الجزائري محمد أركون، الذي ما انفك يحفر في بنية المقدس الإسلامي من خلا تطبيق المناهج الغربية على التراث العربي الإسلامي، حيث نجده أبدع لوحده منهجية خاصة في الفكر الإسلامي سماها بالإسلاميات التطبيقية، والتي حاول من خلالها دراسة الفكر الإسلامي من الداخل خلاف الدراسات التي قام بها المستشرقون، فأعطاها منهجية خاصة، ومهام تضطلع بها للخروج من السياج الدوغمائي الذي رسمه المفكرون الإسلاميون على مدى أربعة عشر قرناً، فالإسلاميات التطبيقية تقوم على تفكيك التراث الإسلامي وقراءته قراءة حداثية تتلاءم مع معطيات الراهن العربي الإسلامي، كما حددها محمد أركون ضمن دائرة اللامفكر فيه الذي طال عليه الزمن دون تجديد.

الكلمات المفتاحية: التراث العربي الإسلامي، الحداثة، الاسلاميات التطبيقية، الدوغمائية.

Title: the Arab Islamic Heritage and Modernity through the Applied Islamism Methodology, Reading in Arkoun's Theses.

Mohammed Mahmoudi seyf eddin
University Mohamed Boudiaf of M'sila-Algeria

Abstract: This research paper starts from a study and analysis of the basic data of the current Arab-Islamic thought, based on the contemporary modernist projects, on which the Algerian philosopher Muhammad Arkoun rose to the throne, who continues to dig into the structure of the Islamic holy through the application of Western approaches to the Arab-Islamic heritage, where we find it He alone created a special methodology in Islamic thought, which he called applied Islamism, through which he tried to study Islamic thought from the inside, unlike the studies carried out by the transcendentalists. It is based on deconstructing the Islamic heritage and reading it a modernist reading that

fits with the facts of the Arab-Islamic current, as defined by Muhammad Arkoun within the circle of the long-running unthinking withoutg.

Keywords: Arab Islamic heritage, modernity, applied Islamism, dogmatism.

1.مقدمة الدراسة:

لقد عرف الفكر العربي منذ مطلع عصر النهضة بروز العديد من المشاريع الفكرية التي حملت على عاتقها مهمة التجديد في الفكر العربي الإسلامي وخاصة فيما يتعلق بمسألة التراث الذي طال عليه الزمن دون تجديد، غير أن هذه المشاريع حملت في طياتها عناوين متقاربة و متداخلة كالتجديد و الاصلاح والحداثة و النهضة و غيرها، وفي هذا الاطار لاح في الأفق مفكرون ذو مشاريع تحمل على عاتقها مهمة التصدي لهذا التخلف الفكري الموروث، وتعطي قراءة تجديدية تلقي باللائمة على القراءات التقليدية باعتبارها قراءات ماضوية ظلت حبيسة الاطر والتكلسات الاجتماعية السائدة آنذاك، فهذه المشاريع المعاصرة تتميز بروح النقد الذي يطبع خطواتها.

والباحث في التراث العربي يدرك مدى التأزم و التشرذم والتفكك التي آل إليها العقل العربي نتيجة التشدد و التمسك المفرط بالتراث العربي الإسلامي رغم القدرة على تجاوزه و مواكبة ركب الحضارة المعاصرة، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الانغماس في معطيات الحداثة، التي يجب أن تنطلق من واقع الامة العربية، بدل أن يصبح المجتمع العربي حقل تجارب لمناهج و نظريات غربية تأخذ ابعاداً لا تتوافق مع البيئة العربية و مشاربها، دفع هذا بالمفكر الجزائري محمد أركون الى محاولة الخروج من حالة العجز و التردي الذي آل اليه الفكر العربي، من خلال إعطاء رؤية حداثية منطلقها الإسلاميات التطبيقية، عن طريق تطبيق المناهج الغربية الحداثية على التراث العربي ، أي بناء فكر تجديدي حداثي يعيد فهمنا و إدراكنا للتراث العربي و الافكار التي نُقِلت إلينا و سلمنا بها دون تمحيص أو نقد.

2.الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات في الفكر العربي المعاصر التي اهتمت بدراسة فكر محمد أركون والتعمق فيه وفهم آليات اشتغاله، داخل المجال التداولي العربي، لهذ سوف يتم عرض بعض هذه الدارسات في محاولة للاستفادة من نتائجها، في تحديد مشكلة وأهداف وتساؤلات الدارسة.

دراسة الدكتور فارح مسرحي (سنة2004) وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة تحت عنوان "الحداثة في فكر محمد أركون"، والتي هدفت إلى تسليط الضوء على الإسلاميات التطبيقية وآليات اشتغالها، باعتبارها مشروع حداثي جاء به محمد أركون لدراسة التراث الإسلامي من الداخل عكس ما كان يفعله المستشرقون الذين كانوا بعدين عن مادة دراستهم، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن الحداثة التي يطرحها أركون هي ذات منشأ غربي يتنافى مع معطيات النص الديني والتراث الإسلامي، ولهذا لاقى استهجان كبير من الدراسين لفكره.

دراسة قدمها الدكتور مصطفى كيحل (سنة2008) هي أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة، تحت عنوان " الانسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، والتي ركز فيها على تبيين نزعة

الانسنة في الفكر العربي المعاصر عند محمد أركون وكيفية تأويل النص الديني الذي اعتبره نص تاريخي، كما وضح مفهوم السياج الدوغمائي الذي وضعة المتشددون في الفكر الإسلامي. وتوصل أخيرا إلى أن أركون تأثر تأثرا شديدا بأبو حيان التوحيدي في جرأته على التراث الإسلامي.

دراسة قدمها الدكتور فارح مسرحي (سنة 2011) وهي أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة تحت عنوان " المرجعية الفكرية لمشروع أركون الحداثي"، والتي جمع فيها كل مشروع محمد أركون منذ بدايات تشكله في ستينيات القرن الماضي، والتي نال على إثرها جائزة أركون للسلام، توصل في نهاية بحثه هذا إلى أن المشروع الفكري لمحمد أركون له علاقة وطيدة بالفكر الغربي حيث يُشكل المرجعية الأساسية لمشروعه ككل لا سيما العلوم الإنسانية والاجتماعية في صورتها الأكثر جدة، وتبنى العديد من مفاهيمها ومناهجها وإشكالاتها خصوصا المتعقلة منها بالأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم الاجتماع.

3.تعقيب على الدراسات السابقة:

اختلفت الدراسات السابقة فيما بينها من حيث الهدف، فهناك من يرى أن أركون هو مستشرق خطير جندته الجامعات الغربية وخاصة الفرنسية منها من أجل الحفر في بنية المقدس الإسلامي، وهناك من يرى أنه ذو فكر تجديدي تجاوز الرؤية المغلقة للتراث من خلال إعطاءه رؤية حداثية تواكب متطلبات الحداثة، ولكن كلهم يشتركون في أن محمد أركون انتهج نهجا جديدا في الفكر الإسلامي لم يسبقه إليه أسلافه، ألا وهو الإسلاميات التطبيقية.

4.إشكالية البحث

تتجلى إشكالية هذا البحث في صعوبة تحديد مفهوم كل من التراث العربي الإسلامي والحداثة، نظرا لطابع الإشكالي ولتنوع التعريفات التي أعطيت لهما، بالإضافة إلى الإشكال المرتبط بتنوع القراءات المعاصرة المُتعلقة بالنص الديني في محاولة لربطه بمقتضيات الحداثة، ولهذا نطرح الإشكال الآتي:

-ما هو البديل الحداثي الذي يقترحه محمد أركون للخروج من مأزق التراث العربي الإسلامي والولوج الى الحداثة؟

- وماهي الاسلاميات التطبيقية عند محمد أركون؟ وماهي منهاجيتها؟ وماهي مهامها؟

5.أهداف البحث وأهميته

تهدف هذه الورقة إلى مناقشة آراء محمد أركون حول التراث العربي الإسلامي والحداثة وموقفه من كلاهما، أما بخصوص أهمية هذه الورقة فتتمثل في إعادة قراءة ومناقشة أفكار محمد وأركون ومدى جرأته على المقدس الإسلامي وربطه بالحداثة الغربية التي هي من منشأ غربي وتجاوز السياج الدوغمائي الذي وضعه الفاعلين الاجتماعيين، والتعريف بها لدى الباحثين والمهتمين بهذا الموضوع.

6.منهج الدراسة

هذه الورقة تعتمد على التحليل في هذه الدراسة الذي يقوم تجزيئ المركب الى عناصره البسيطة، وفك الغموض على المبهم، سواء أثناء التحديد المفاهيمي لكل من التراث العربي الإسلامي والحداثة، أو أثناء عرض منهجية الإسلاميات التطبيقية التي اعتمدها أركون في نقده للفكر الإسلامي.

أولا: ضبط المفاهيم.

1- مفهوم التراث العربي.

يعتبر التراث العربي من بين أهم الدراسات التي تحضا بدراسة واسعة في الفكر العربي المعاصر. ولهذا سنحاول الوقوف على مفهوم التراث لغة واصطلاحا.

-مفهوم التراث في اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور "الوارث صفة من صفات الله غز وجل وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين". (ابن منظور، د.ت، 269).

أما في قاموس تاج اللغة وصحاح العربية ف "الميراث أصله مِوْارث، انقلبت الواو إلى ياء لكسر ما قبلها والتراث أصل التاء فيه واو، ويقال أورثه الشيء أبوه، وهم ورثة فلان". (أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، 1999، ص437).

ولفظ التراث في اللغة العربية ما ورد في مادة (و. ر. ث)، وتجعله المعاجم القديمة مرادفا للإرث أو الورث والميراث وهي مصادر تدل عندما تُطلق اسما على ما يرثه الإنسان من والديه من مال أو حَسَبْ، وقد فرق بعض اللغويين القدامى بين الورث والميراث على أساس أنهما خاصان بالمال، وبين الإرث على أساس أنه خاص بالحسب، ولعل لفظ تراث هو أقل هذه المصادر استعمالا وتداولا عند العرب الذين جُمعت منهم اللغة.

وقد ورد لفظ التراث في القرآن الكريم وذلك مِصداقاً لقوله تعالى" كلا بل تُكرمون اليتيم، ولا تحاضون على طعام المسكين، وتأكلون التراث أكلاً لماً، وتحبون المال حباً جماً،" (القرآن الكريم، سورة الفجر، الآية 17-20)، ومعنى كلمة التراث في الآية الكريمة هو أكل الميراث بين نصيب الفرد ونصيب غيره من الوراث.

من خلال ما سبق ذكره يتضح ان التراث عند اللغويين يحمل دلالة مادية، ودلالة تتعلق بالنسب، غير أن التراث العربي يحمل دلالات أخرى معنوية يمكن أن تتعلق بالأفكار والحضارة والإيديولوجيا والعادات والتقاليد والعقائد وغيرها كثير.

2-مفهوم التراث العربي الإسلامي عند محمد أركون.

من الواضح أن أهم القضايا التي اشتغل عليها محمد أركون في مشروعه نقد العقل الإسلامي، هو تحديده لمفهوم التراث، فالتراث حسب أركون لا يمكن فهمه إلا من خلال ربطه بالحداثة، لهذا نجد للتراث عند أركون ينقسم إلى ثلاث مستويات:

-التراث الذي يعني التراث الإسلامي المقدس.

-التراث الذي يعني العادات والتقاليد.

-التراث الذي يعني التراث الإسلامي الكلي.

فالتفاعل بين هذه المستويات يُشكل لنا التراث في علاقته مع الحداثة، لأن أركون يشير إلى عدم إمكانية إقامة روابط روحية مع التراث مالم نتمثل ونضطلع بمسؤولية الحداثة كاملة، فالمستويات التي يميزها أركون في التراث الإسلامي، والتي أراد تجاوزها من خلال الإسلاميات التطبيقية.

تتثمل هذه المستويات الثلاثة فيما يلي:

أ_ المستوى الأول: مرحلة التأسيس (التراث الإسلامي المقدس).

تبتدأ هذه الرحلة ببداية القرآن لأن العرب _ المسلمين يستمدون كل أمجادهم من هذا العصر الذهبي لحضارتهم، ويُلاحظ -أركون-أن الرسالة القرآنية تُقدم نفسها على هيئة حداثة تقلب كل شيء أي تقلب العادات التقاليد والعقائد الموروثة، في حين أن كل من سبق مرحلة القرآن رُمي بيه في غياهب الجاهلية.

وبهذا المعنى نجد أنفسنا أمام أربع مقاربات أو سيرورات متنافسة وهي:

_" المقاربة الأولى تتمثل في أن الخطاب الإسلامي الحالي الذي يميل إلى السيطرة على كل الخطابات الأخرى

_ الخطاب الإسلامي الكلاسيكي الذي يفصح عن التراث في مرحلة تشكله وترسيخه

_ الخطاب الاستشراقي الذي يُطبق على مرحلة التشكل والتأسيس والتثبيت

_ الخطاب الذي تستخدمه علوم الإنسان والمجتمع" (محمد أركون، 1996، ص 59).

كما "نجد أن مفهومي الإسلام والتراث غير محددين بشكل نهائي ومغلق، لأنهما خاضعان للتغير المستمر الذي يفرضه التاريخ" (محمد أركون، 1996، ص ص 17.18). لأننا نجد أن الإسلام كمفهوم ينبغي إعادة تحديده وتعريفه، ومع ذلك فالإسلام يتضمن حسب أركون عناصر تأسيسية وتكوينية ثابتة وإجبارية وهي:

_" النص القرآني (المصحف).

_ مجموعات نصوص الحديث والتشريع العديدة والمختلفة.

_الفرائض القانونية الخمس والشعائر اللازمة لتأديتها.

_ الدينامو الروحي المشترك لدى كل المؤمنين والذي يُشكل خاصية مميزة للتراث"، (محمد أركون، 1996، ص ص 21.20). وهذه تُمثل الفرائض والعناصر المُنبثقة من النص القرآني والتي نص عليها أي أنها إلزامية على كل مسلم.

فالقرآن هو المرجع الأول للمسلمين دون مناقشة، وفي بدايات ظهوره تظهر أمجاد المسلمين فهو حداثة بالنسبة لما كان موجود في الجاهلية.

ب-المستوى الثاني: التراث والتراثات الأخرى في الإسلام.

يضع أركون التراث ضمن أرثوذكسية لها خصائصها ومقوماتها، فكما أنه لا يوجد إلا إسلام واحد فإنه لا يمكن أن يوجد إلا تراث واحد، غير أن الوقائع التاريخية تتناقض مع ذلك، لأنه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم 632م/11ه، كانت هناك عدة انطلاقات ممكنة للتراث بحسب القرآن وتجربة المدينة والواقع الاجتماعي _الثقافي لشبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة، وقد تبلورت ثلاثة اتجاهات أثناء القرن الهجري الأول، وشهدنا عبره الصراعات الدموية العنيفة

والمناقشات الحامية والخصبة، وانبثاق الأرثوذوكسيات الثلاث الكبرى بالتدرج أي الأرثوذوكسية السنية والشيعية والخارجية (الخوارج)، غير أن هذه الأرثوذوكسيات شهدت انقسامات متباعدة.

ج -المستوى الثالث: التراث السني الكامل (التراث الإسلامي الكلي).

لإعادة دراسة مفهوم التراث الإسلامي الكلي يدعونا أركون إلى رفع كل الوظائف الإيديولوجية والتلاعبات المعنوية، التي تساهم في نزع الشرعية كما كان معاشاً ومُتصوراً طيلة قرون، وكذا تحرير الإسلام من دائرة التراث التكراري أو التراث الذي يعيد نفسه باستمرار، ذلك بهدف تأسيس تراث قادر على الحفاظ في إطار الخصوبة المتضمنة، ذلك "أنه ينقل لنا أكثر من مجرد الأفكار القابلة للتشكل المنطقي، إنه يجسد حياة كاملة تشمل الفكر والعواطف والعقائد والمطامح والممارسات والعمال ... ويمكن للطاقة البشرية أن تشرب من معينه دون أن تستنفذه"،(محمد أركون، 1996، ص 24). أي إعادة قراءة التراث الشامل والكلي بعيداً عما كان مُتداولاً وإعطائه رؤية حداثية جديدة.

وما يمكن قوله ان أركون يريد الحفر في بنية التراث الإسلامي بكل مستوياته من أجل إعادة بلورته في تراث واحد قادر على مجارات روح الحداثة وأن يسير وفق مناهج العصر، لأن التراث الإسلامي توارثته الأجيال دون تمحيص أو إعادة قراءة تتوافق مع الحالة الراهنة التي يعيشها إنسان اليوم.

3-مفهوم الحداثة. إن الباحث في معطيات الحداثة يجد أنه "من الصعوبة الوصول الى ضبط مفهوم دقيق للحداثة، اذْ ليس هناك اتفاق بين المفكرين حول طبيعة ومكونات الحداثة" (فارح مسرحي، 2006، ص 21).

وذلك راجع الى تنوع المشارب الفكرية لكل مفكر، والذي يحمل على عاتقه مهمة التحديث، وبهذا نحاول الوقوف على أهم تعريفات للحداثة.

- الحداثة هي مجموعة أفكار ليست محصورة في جانب واحد، بل هي "مفهوم حضاري شمولي يطال كافة مستويات الوجود الانساني" (فارح مسرحي، 2006، ص 22)، ذلك "لأن الحداثة باعتبارها وعي الإنسان المتجدد بذاته، لا يمكن أن تحمل حدودا عرقية أو جغرافية" (مختار الفجاري، 2005، ص 156). وهذا يوضح أن الحداثة كلية فهي تدرس كل معطيات المعرفة، ولا تؤمن بالحدود الجغرافية أو العرقية.

- الحداثة ضد التقليد، حيث يقول الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس: "إن الحداثة تعبر دائما عن وعي عصر ما يحدد نفسه(...) ويفهم ذاته كنتيجة انتقال من القديم إلى الحديث" (يورغن هابرماس، 1995، ص 42)، بهذا المعنى فإن الحداثة هي الخروج عن المألوف وابداع ما لم يكن موجود.

- "تمتاز الحداثة أيضا بكونها تفرض نفسها كوحدة مشعة علمياً، فقد أصبح البعد العالمي إحدى القيم الجوهرية للحداثة أفرزت التكنولوجيا والوسائل السمعية البصرية والتي باتت من بين أكثر الأشياء التي فرضت فضاءاً مخترقاً للفضاء الوطني، ولا يمكن لأحد أن يوقفها." (فارح مسرحي، 2006، ص 23)، أي أن إفرازات التكنولوجيا تمثل حداثة غزت الأوطان العالمية وأصبح العالم لا يستطيع الاستغناء عنها أو إيقافها.

فالحداثة بهذا المعنى هي مرادفة للإبداع أو تحاوز القديم والإتيان بالجديد الذي يكون فريدا من نوعه، من أجل تجاوز القديم أو اللامفكر فيه، هذا ما أراد أركون تطبيقه على التراث الإسلامي أي تجاوز القراءات الماضية التي طال عليها الزمن دون تجديد، فالحوادث التي يرويها المفسرون والمشايخ يراها أركون عبارة عن حوادث تاريخية لا نعرف هنها سوى ما وصل إليها، إذ ليس لدينا شاهد يؤكد أو ينفي صحة هذه الحوادث في الفكر الإسلامي.

ثانيا-الإسلاميات التطبيقية وتجاوز مأزق التراث العربي الاسلامي عند محمد أركون.

يعتبر المفكر محمد أركون من بين القلائل الذين تجرؤا على الحفر في بنية المقدس الاسلامي على غرار نصر حامد ابو زيد وغيره، من خلال مشروعه نقد العقل الاسلامي، والذي حول فيه إعطاء قراءة حداثية للتراث العربي الاسلامي، من خلال اعتماده على عُدة منهجية مترامية الأطراف تتشرب من معين العلوم الإنسانية والاجتماعية، ونظرا لتكوينه في الجامعات الفرنسية وتأثره بما أنتجه الغرب من مناهج حداثية، أراد أركون من خلالها تطبيق هذه المناهج الحداثية على التراث العربي الاسلامي. ولهذا حاول إبداع آلية أو منهجية جديدة في فهم التراث اصطلح عليها بالإسلاميات التطبيقية. فماهي الاسلاميات التطبيقية؟

قبل الولوج إلى التعريف بالإسلاميات التطبيقية يجب التنويه الى الإسلاميات الكلاسيكية (الاستشراق) وموقف أركون منها.

1-الإسلاميات الكلاسيكية (الاستشراق) وموقف أركون منها.

discuss "إن الإسلاميات الكلاسيكية هي خطاب غربي حول الإسلام" (محمد أركون، 1996، ص 51) ، أي أنها من صنع باحثين غربيين يشتغلون حول الإسلام، من أجل التعرف عليه من الداخل وعن قرب، عن طريق البحث في التراث المنسي أو المسكوت عنه.

إن مصطلح الإسلاميات الكلاسيكية مصطلح حديث النشأة حيث كان يُعرف بالاستشراق، ولكن تغيرت التسمية في الأواسط العلمية " وسبب ذلك هو أن مصطلح الاستشراق أصبح مثقلا بالدلالات الإيديولوجية والجدالية، نظرا لارتباطه بالحركة الاستعمارية من جهة، وللهجوم الشديد الذي تعرض له من قبل المسلمين والعرب من جهة أخرى" (محمد أركون، 1996، ص 143).

" وإذا أردنا تتبع المراحل التاريخية التي تشكلت فيها الحركة الاستشراقية، فإنه يمكن القول أن اهتمام الغرب بدراسة واكتشاف الحياة الفكرية للشرق عموما، والبحث في التراث الإسلامي خصوصا يعود إلى القرون الوسطى وتشهد على ذلك الترجمات الخاصة، بمؤلفات ابن سينا وابن رشد وغيرها إلى اللاتينية والأثر الذي تركته هذه الترجمات لدى الأوروبيين، وقد زاد اهتمام الغرب بالتراث الإسلامي منذ بداية القرن م19 نتيجة لأغراض استعمارية بالدرجة الأولى... وقد ازدهرت الإسلاميات الكلاسيكية في القرن الممتد وذلك بتحقيقها للمخطوطات وإعادة قراءتها قراءة لغوية" (فارح مسرحي، 2006، ص ص، 96-97)، لأن "عالِم الإسلاميات يعرف جيدا بأنه أجنبي عن موضوع دراسته ولذا ومن أجل أن يتجنب كل حكم تعسفي فإنه سيكتفي بأن ينقل إلى أحد اللغات محتوى كبريات النصوص الإسلامية الكلاسيكية" (محمد أركون، 1996، ص 52).

ومعنى هذا ان الباحثين الغربيين حول الإسلام غرباء على مادة دراستهم، أي أنهم يقومون بترجمة الحرفية للنصوص الإسلامية الكلاسيكية، إلى لغتهم الأصلية من أجل التعرف على محتوى النصوص عن قرب، ودراسة الفكر الإسلامي دراسة معمقة، وهذا ما حصل من خلال إحياء وترجمة كتاب "فصل المقال" لابن رشد.

أما موقف أركون من الإسلاميات الكلاسيكية فهو لا ينكر الدور الذي لعبته في إحياء التراث الإسلامي حيث يقول:" إنه لا يمكن في الواقع إنكار أن الاستشراق كان قد ساهم بشكل واسع في إعادة تنشيط الفكر العربي الإسلامي" (محمد أركون، 1996، ص 54).

ولكن ما يعيبه أركون على هؤلاء المستشرقين هو أنهم " لا يبالون إطلاقا بمصير المسلمين والمجتمعات الإسلامية، عندما يدرسون الإسلام أو يكتبون عنه، فهذه ليست مشكلتهم، كما يقولون صراحة حتى يومنا هذا " (محمد أركون، 1996، ص38)، أي أنهم يدرسون التراث الإسلامي دون مراعاة لمشاعر المسلمين، لأن التراث الإسلامي لا يعنيهم بالمعنى الشعوري أو الانتمائي، بل يدرسون الفكر الإسلامي للبحث في الحقيقة فقط.

كما ينتقد أيضا علماء الإسلاميات، لأنهم لا يزالون يرفضون تطبيق منهجيات العلوم الإنسانية في دراستهم للفكر الإسلامي، فهم يعتمدون على "المنهجية التاريخية التقليدية التي سادت في القرن التاسع عشر، والتي كانت تحصر عملها بسرد الوقائع كما هي، الواحدة بعد الأخرى دون الكشف والتحقق منها" (محمد أركون، 1999، ص 30).

" كما يعيب عليهم أيضا نزعتهم الاختزالية الانتقامية في دراستهم للتراث الإسلامي، ذلك أن أغلب المستشرقين يحصرون اهتمامهم بدراسة كتابات بعض المفكرين المسلمين المعروفين مثل: الغزالي، ابن رشد، ابن خلدون.... إلخ، وهذا ما يؤدي إلى إهمال كتابات المفكرين غير المشهورين، كما يؤدي إلى إهمال جوانب مهمة من التراث الإسلامي، كالتراث الشفهي الخاص بالشعوب الاسلامية التي لا تمتلك كتابة" (فارح مسرحي، 2006، ص 100).

فالمستشرقون لا يبالون بمشاعر المسلمين في دراستهم للتراث الإسلامي، فهم لا يهم سوى فضح عيوب الإسلام والمسلمين، قد يصل بهم الأمر إلا ابتداع ما لا يوجد في التراث الإسلامي من أجل تشويه سمعة الإسلام، وفي هذا نظرة انتقامية يملئها الحقد، ولعل الواقع أصدق أنباءا من القول حينما نرى تكوين جماعات مسلحة يُنسبونها للإسلام والمسلمين مثل داعش وغيرها، فهنا نلاحظ كيف يتم اختراق الإسلام والمسلمين وصنع جماعات تسيء إلى الإسلام باسم الإسلام نفسه، بالطبع تساعد وسائل الإعلام الرهيبة في ذلك.

2-مفهوم الإسلاميات التطبيقية.

إن مصطلح الإسلاميات التطبيقية لم يكن وليد الصدفة، بل استلهمه أركون من أحد الأنثروبولوجيين الفرنسيين حيث يقول أركون :" استوحينا هذه التسمية من كتاب صغير لروجيه باستيد، بعنوان الأنثروبولوجيا التطبيقية وبحوثنا تسير على نفس الخط" (محمد أركون، 1996، ص 275)، أي أن الإسلاميات التطبيقية لها أبعاد أنثروبولوجيا فهي تتعدى الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي، وذلك من أجل أن تأخذ على عاتقها مهمة طرح المشاكل الفعلية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية فهي " تريد أن تتموضع داخل هذه المجتمعات الإسلامية لكي تتعرف على

مشاكلها القديمة والحديثة... وتساهم في إغناء البحث العلمي كما هو ممارس اليوم في شتى البيئات الثقافية" (محمد أركون، 1996، ص 176).

إن الإسلاميات التطبيقية كما يعرفها صاحبها " هي ممارسة متعددة الاختصاصات، وهذا ناتج عن اهتماماتها المعاصرة (فهي تريد أن تكون متضامنة مع نجاحات الفكر المعاصر) والمتطلبات بموضوع دراستها" (محمد أركون، 1996، ص 57)، ويقصد أركون بتعدد الاختصاصات مختلف الحقول المعرفة التي انخرط فيها ليعتمدها في مشروعه، نقد العقل الإسلامي وقد أكد على قيمتها. حيث يمكن استنباطها في ثلاثة اختصاصات هي:

أ_ إختصاص المؤرخ: حيث يربطه أركون بالمنهجية التاريخية فهي تمثل الركيزة الأساسية في نقد العقل الإسلامي حيث يقول: " المنهجية التاريخية الحديثة تتخذ مكانة محورية في مشروعي نقد العقل الإسلامي" (محمد أركون، 1996، ص 247)، والمقصود بالمنهجية التاريخية الحديثة هو إرجاع الفكر إلى مجال الأنساق أو النظم الفكرية، وليس إلى الأحداث الخارجة عنه كالأحداث السياسية والعسكرية وغيرها. وبهذه المنهجية يمكن إخراج الفكر الإسلامي من البعثرة التي لا جامع لها، إلى مجال النظام وذلك من خلال بحثه في المبادئ المشتركة بين مختلف العلوم الإسلامية، ليصوغ لنا النظام الفكري العام أو الأفق المعرفي الذي يؤطرها، وبهذا فهو يحاول إرسائها ـ المنهجية التاريخيةـ من أجل تجاوز التاريخ الخطي التعليمي للاستشراق. وأن أركون يؤكد هنا أنه بحكم تخصصه العلمي سيسعى إلى إحداث نقلة نوعية في تاريخ الفكر الإسلامي من خلال دراسته للعلاقات التي تربط بين كل العلوم التي من شأنها أن ترفع الدوغمائية*على الفكر الإسلامي عبر تاريخه الطويل.

ب_ أما إختصاص الفيلسوف: فيأتي بعد اختصاص المؤرخ لأن المؤرخ حسب أركون يقوم بجمع الأفكار المتداولة عبر التاريخ، ثم يأتي دور الفيلسوف في أن يضع هذه الأفكار للتقويم والنقد وبهذا يقول أركون: "اللحظة الفلسفية ـ أي لحظة التقويم الشامل ـ تجيء بالضرورة بعد اللحظة التاريخية" (محمد أركزن، 1996، ص 39)، ومعنى هذا أن اللحظة الفلسفية تمثل منعطف في تاريخ الفكر، فهي التي تقوم بتمحيص الفكر المتراكم وإخضاعه للمساءلة والنقد من أجل التخفيف من هيبة المقدس.

ج_ إختصاص اللساني: يتميز هذا الاختصاص باستحضار المنهجية اللسانية بين فعل إنتاج النص ومصوغات الخطاب، بهدف الإعداد أو الفهم المقصود من لدن المتكلم، هذا الاختصاص يستعمل المحددات والمعرفات مثل " ال " التعريف التي لها قيمة التقييم في المكان والزمان (مختار الفجاري، 2005، ص 57).

" وبناءا على ما سبق، فإنه يمكن القول بأن الاسلاميات التطبيقية هي بمثابة موقع منهجي يهدف إلى تأسيس خطاب جديد ورؤية جديدة معاصرة للإسلام تاريخا وتراثا، رؤية تأخذ بعين الاعتبار مسألتين هما: المجتمع، والواقع الاجتماعي للإنسان العربي المسلم" (فارح مسرحي، 2015، ص ص، 168-167)، لأنها تنطلق من واقع المسلمين، أي أن مهمتها التطبيق أكثر من التنظير في محاولة لحل مشاكل الحاضر والتنقيب في التراث الإسلامي من خلال إعادة بلورته وربطه بواقع المسلمين اليوم وهو ما لم تحققه الإسلاميات الكلاسيكية.

وبالتالي فإن الإسلاميات التطبيقية هي نقد للفكر الإسلامي من الداخل، أي الحفر في بنية المقدس لأن" الفكر الإسلامي يستمر في الارتكاز وإلى حد كبير على المسلمات المعرفية (إبستيمي) للقرون الوسطى، ذلك أنه يخلط بين الأسطوري والتاريخي، ثم يقوم بعملية تكريس دوغمائية للقيم الأخلاقية والدينية، وتأكيد تيولوجي لتفوق المؤمن والمسلم على غير المسلم، وتقديس اللغة. ثم التركيز على قدسية المعنى، المعنى المرسل من الله ووحدانيته (معنويا) هذا المعنى الموضح والمحفوظ والمنقول عن طريق الفقهاء بالإضافة إلى عقل أبدي" (محمد أركون، 1996، ص 55).

ولهذا يمكن القول إن الإسلاميات التطبيقية هي مشروع فكري معاصر ذو طموح منهجي متعدد جاء به أركون لإعادة قراءة التراث الإسلامي قراءة علمية حداثية (عبد المجيد خليقي، 2010، ص 25).

عموما فإن الإسلاميات التطبيقية باختصاصاتها المتعدد جاءت لتخرج الفكر الإسلامي من بوتقته الدو غمائية التاريخية للقرون الوسطى وإعطائها قراءة علمية معاصرة تستند إلى معطيات الحداثة، وعليه فإن موضوع الإسلاميات التطبيقية هو العقل الإسلامي في مختلف أبعاده وتجلياته، والذي اشتغل أركون عليه منذ ستينيات القرن الماضي حيث أن هذا العقل بدأ في التشكل منذ تجذر اللغوس الإلهي في العقل البشري، عن طريق ظاهرة الوحي وتأسس على مرجعية النص القرآني، باعتباره خطابا يحمل دلالات عقلية، إذ إن الإسلاميات التطبيقية لا تكتفي بتحليل هذا الخطاب بل تروم إلى نقده أيضا، كما تنصب على مواضيع لم يفكر فيها من قبل، أو مستحيل التفكير فيها كمسألة تاريخية النص القرآني وتشكله ومسألة الوحي ومسألة التعبير الشفهي والمكتوب للقرآن وغيرها من المسائل التي لم يتطرق إليها المسلمون أو علماء الإسلاميات، وعليه فإن الإسلاميات التطبيقية تطرقت إلى هذه المواضيع عن طريق إحيائها ومناقشتها مناقشة علمية بهدف إبراز التراث الإسلامي اللامفكر فيه، وذلك عن طريق إسقاط المنهجيات المعاصرة على التراث الإسلامي فهذا من شأنه أن يعطي قراءة جديدة للتراث العربي الإسلامي.

ثالثا-منهجية الإسلاميات التطبيقية.

إن الإسلاميات التطبيقية بقدر ما هي علم، هي منهجية كذلك لأن أي علم لابد له من منهج فهي بذلك تتميز عن الإسلاميات الكلاسيكية بخاصية الممارس المنهجية وكذلك النقد.

وعليه يمكن القول بأن الإسلاميات التطبيقية متعدد المناهج، فهي تجمع بين التحليل التاريخي أو المنهجية التاريخية، وكذا المقاربة الألسنية والسيميائية والتحليل الأنثروبولوجي الاجتماعي للمجتمعات وهذا التنوع المنهجي الذي أعطاه صفة العلمية.

حيث يوضح ذلك أركون بقوله: "إعادة القراءة لتاريخ الإسلام والتراث العربي، اعتمادا على أصولية ومناهج حديثة تمكن من إلقاء ضوء جديد على التراث، وإبداع مواقف فكرية أكثر ارتباطا والتزامًا بالفكر العلمي المعاصر" (نقلاً عن فارح مسرحي، 2006، ص 109)، أي أن أركون تأثر تأثُرًا شديدًا بالمناهج الغربية، من خلال تطبيقها على الفكر الإسلامي، لأن هذه

المناهج الفاحصة للفكر الإسلامي من شأنها أن تفتح رؤية جديدة من شأنها أن تكشف النقاب وتفتح الستار، على أفكار متداولة يُنظر إليها على أنها صحيحة وهي خاطئة.

كما نجده يشدد على ضرورة تعدد المناهج في منهجية الإسلاميات التطبيقية بقوله: "فإن الإسلاميات التطبيقية تعلم أنه ليس هناك من خطاب أو منهج بريء. إنها ترجع في كل مساراتها وخططها إلى نقد الخطاب (أي خطاب كان) وذلك بالمعنى الذي حدده لوي ماران بخصوص دراسة لفكر باسكال كما أنها ترجع تعدد المناهج الفاحصة من أجل تجنب أي اختزال للمادة المدروسة" (محمد أركون، 1996، ص 57).

وبالتالي فإن القراءة المنهجية التي تعتمدها الإسلاميات التطبيقية هي قراءة مزدوجة نذكر منها:

_ عمومية: من حيث تركيزها على بنية النص والتفاعل معه.

_ أفقية: من حيث كونها تشير إلى التناص بين القرآن والنصوص الأخرى السابقة له.

كما أن هذه المنهجية تستخدم المنهج المقارن داخل ما أسماه أركون بالفضاء الجغرافي التاريخي المتوسط بهدف القيام بنقد جذري لجميع أشكال العقلنة (عبد المجيد خليقي وزملائه، 2011، ص 28).

رابعا-مهام الإسلاميات التطبيقية.

هناك مهمتان رئيسيتان تضطلع بهما الإسلاميات التطبيقية هما:

ــ دراسة التراث.

– دراسة الحداثة.

حيث يقول أركون: "نحدد بذلك، نوعين أو قطبين من الاهتمامات التي تتموضع حولها المسائل العلمية، ووسائل واختيارات مرحلية وأهداف نهائية هما: القطب الذي يدعوه العرب (بالتراث) والذي ما انفك الوعي العربي والإسلامي عن الحنين له (أو ادعائه) حتى اليوم، والمدعو أحيانًا بالعصر التأسيسي (الزمن المليء بالوحي-زمن السلف-النماذج)، ثم قطب الحداثة" (محمد أركون، 1996، ص 57).

" فالدراسة الموجهة للتراث تروم إلى تقويمه من أجل فرز ما هو معرفي وما هو إيديولوجي. أو بعبارة أخرى فرز ما هو عقلاني ما هو خرافي، ودراسة الحداثة التي تقوم على إبراز انجازات العلوم الإنسانية ومكتسباتها، كما تسعى إلى نقدها وإظهار ثغراتها ابتداء من عصر الأنوار إلى عصر النهضة، فالتراث والحداثة عمليتان مترابطتان" (عبد المجيد خليقي، 2010، ص 111-112).

ولهذا فإن مهمة الإسلاميات التطبيقية هي إعادة إحياء التراث الإسلامي عبر مراحل تشكله والذي يمثل الجانب الفكري للحضارة العربية الإسلامية مثل التراث الفكري لطبري وغيره، والذي يدعوه محمد أركون باللامفكر فيه أو المستحيل التفكير فيه، لأن هذا التراث لا يزال منغلقا بعيدا عن المساءلة والنقد، أي أنه استمد قدسيته من قدسية القرآن، وبالتالي فمهمة الإسلاميات التطبيقية هي وضع هذا التراث اللامفكر فيه أمام الحداثة، أي دراسته وفق قيم الحداثة ومتطلباتها ومناهجها المعاصرة ولهذا "فنحن في حاجة إلى مراجعة مواقفنا ... في حاجة إلى رؤية جديدة شمولية

واعية تتخطى الحواجز المصطنعة، وتتجاوز الدوائر الوهمية، وتنظر إلى الأجزاء في إطار الكل وتربط الحاضر بالماضي في اتجاه المستقبل" (محمد عابد الجابري، 1991، ص 37).

لكن هناك عوائق تحول دون تحقيق الإسلاميات التطبيقية لمهامها نذكر منها:

_" رد الفعل الشعبي المحكوم بالسياج الدو غمائي الوسيط، والذي لا يسمح بمس بنيته التقليدية، وقل الشيء نفسه بالنسبة لفئة العالمة، فهذه الفئة المكونة من مهندسين وأطباء وأساتذة جامعيين ووزراء... رغم رغد عيشهما فإنه لا تختلف عن الفئة الأولى فئة الفلاحين والرعاة والحرفين، من حيث كونهما تخضعان معا لنفس القوى الانفعالية، ولنفس التصورات الدينية ولنفس أنظمة العقائد الإيمانية والأعراف الاجتماعية والقيم الأخلاقية والقانونية" (عبد المجيد خليقي، 2010، ص 115).

كما أن أركون يقسمها إلى أسباب داخلية وأسباب خارجية فهذه الأسباب تحول دون تحقيق الإسلاميات التطبيقية لمهامها وهي:

1_ **"الأسباب الداخلية:** تتمثل في القطيعة الحاصلة بين الدولة (النظام السياسي) وبين المجتمع المدني، السلطات المضخمة للزعيم الواحد والحزب الواحد، والمؤسسات السياسية شكلية بحتة، وهي تستبعد كل مساهمة فعلية للمواطنين في إدارة أمور البلاد" (محمد أركون، 1996، ص 23)، وبالتالي فهذا يحدث شرخًا وهوة سحيقة، بين الدولة أو السلطة ومواطنيها.

2_ " أما الأسباب الخارجية: الحرب الاقتصادية والتجارة الدولية، التلاعبات المصرفية والمالية على المستوى العالمي، تؤدي إلى الإثراء الفاحش، لفئة قليلة من المضاربين وإفقار العدد الأكبر من الناس" (محمد أركون، 1996، ص 23)، ومعنى هذا أن الحرب الاقتصادية والتجارية الدولية، جعلت من أفراد المجتمع طبقات فهناك الأثرياء وهناك الفقراء، وهذا ما يحدث في دول العالم الثالث ومنها الدول العربية والإسلامية، حيث أصبحوا يهتمون بتحصيل المال فقط، دون مراعاة أي شيء أخر وهذا حسب أركون معيق من المعيقات التي تحول دون تحقيق الإسلاميات التطبيقية لمهامها.

خامسا: أهم نتائج البحث.

وتوصلت في نهاية بحثي هذا إلى أن محمد اركون، انتهج نهجا جديدا لم يسبقه اليه أسلافه، وهو قراءة الفكر الإسلامي من الداخل أي من عمق الفكر الإسلامي نفسه عكس ما فعله المستشرقون، متسلحا في ذلك بمنهجية حداثية معاصرة تتشرب من معين العلوم الإنسانية والاجتماعية، تعطي أبعادا ومفاهيم جديدة للموروث الإسلامي وترفع القدسية على التراث الإنساني أي على الأشخاص الذين استمدوا قدسيتهم من قدسية النص الديني نفسه، ولعل الاسلاميات التطبيقية خير دليل على فك رموز التراث العربي الإسلامي.

بناءا على هذا نستخلص مما سبق أن:

-العقل العربي الإسلامي يُشكل بالنسبة لأركون المشروع الذي يشتغل عليه، حيث يُسمى مشروعه الفكر نقد العقل الإسلامي.

-التراث العربي الإسلامي له ثلاث مستويات، التراث الذي يحمل صفة القدسية الذي يمثله النص القرآني، والتراث الذي يتمثل في العادات والتقاليد داخل المجتمع العربي الإسلامي، والتراث في صفته الكلية.

-الحداثة عند محمد أركون هي نتاج ما توصل إليه العقل الغربي بعيدا عن الدين.

-الإسلاميات الكلاسيكية (الاستشراق) هي دراسة خاطئة لأن المستشرق بعيد عن مادة دراسته.

-الإسلاميات التطبيقية مشروع فكري حداثي ينطلق من صلب الفكري الإسلامي نفسه.

-تأثير الأنثروبولوجين الفرنسيين في فكر محمد أركون.

-تفرع اختصاصات الإسلاميات التطبيقية لتشمل الفلسفة والتاريخ والأدب.

-تعدد المناهج بالنسبة للإسلاميات التطبيقية بين التاريخي والأر كولوجي والتاريخاني وغيرها.

-مهمة الإسلاميات التطبيقية دراسة التراث والحداثة.

-خاتمة:

وصفوة القول أن محمد أركون بما له وما عليه، اجتهد في محاولة تجديد التراث العربي الإسلامي من خلال استحداثه لمنهجية جديدة وهي الإسلاميات التطبيقية، لكي يجيب عن أسئلة الحاضر من الحاضر نفسه، وليس من تاريخ التراث العربي الإسلامي، لأنه يعتبر أن الحداثة تتطلب مناهج وأدوات حداثية تنبع من روح العصر ولا ليست خارجة عنه، وسواء اصاب أم أخطأ فالرجل حاول محاولة جادة لإحياء ما يمكن إحيائه والتخلص من السياج الدو غمائي -كما يصفه-الذي سيطر على العقل العربي منذ ردح طويل من الزمن، وبهذا ينتهي محمد أركون إلى أن العقائد لم تنزل من السماء بل الكتب المقدسة وحدها من نزلت من السماء، لهذا فهو أراد إعطاء قراءة جديدة للموروث الديني الإسلامي وفق متطلبات الحداثة، متأثرا في ذلك بم تلاقاه من تكوين في الجامعات الأوروبية و احتكاكه بعدد كبير من المستشرقين.

وما يمكن اقتراحه هو أن تكون هناك قراءات جادة ومعمقة حول فكر محمد أركون، ولا يبقى حبيس التصنيف على أنه علماني أو تجديدي أو مستشرق أو غيرها من التصنيفات التي أُطلقت عليه، فوجب دراسة الإشكالات التي طرحها أركون والتعمق فيها.

التوصيات:

-ضرورة دراسات الإشكالات التي يطرحها أركون دراسة معمقة.

-ضرورة فهم التراث الإسلامي فهما دقيقا وعميقا، لتجاوز الأشياء المنسوبة إليه ظلما.

-استحداث برامج ومناهج تعليمية للاهتمام بمثل هذه المشاريع الفكرية في الوطن العربي.

-ضرورة دراسة الحداثة ومواكبتها دون الإخلال بالموروث الديني.

-ضرورة جعل العقل العربي عقل نقدي يمارس النقد من واقعه المعاش.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم:

- القرآن الكريم، سورة الفجر، (ال آية17 -20).

1.أركون محمد، (1996)، تاريخية الفكر الإسلامي، تر هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.

2.أركون محمد، (1996)، الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
3.أركون محمد، (1996)، العلمنة والدين، تر هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان.
4.أركون محمد، (1999)، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، تر هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان.
5.أركون محمد، (1996)، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، تر. هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان.
1.ابن منظور، (د.ت)، لسان العرب.
2.بن حماد الجوهري أبي نصر إسماعيل، تر، إميل بديع يعقوب، (1419ه/1999م)، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان.
3.مسرحي فارح، (2006)، الحداثة في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر.
4.الفجاري مختار، (2005)، نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
5.ها برماس يورغن، (1995)، القول الفلسفي للحداثة، تر فاطمة الجيوشي، دراسات فكرية فلسفية، منشورات وزارة الثقافة، سوريا.
6.مسرحي فارح، (2015)، المرجعية الفكرية لمشروع أركون الحداثي، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، باتنة، الجزائر.

7.خليقي عبد المجيد، (2010)، قراءة النص الديني عند محمد أركون، منتدى المعارف، بيروت، لبنان.
8.خليقي عبد المجيد وآخرون، (2011)، قراءات في مشروع محمد أركون الفكري، منتدى المعارف، بيروت، لبنان.
9.الجابري محمد عابد، (1991)، التراث والحداثة، مركز الدراسات العربية، لبنان.